حكايات الأطفال الخيالية بين الرسوم التوضيحية والرؤى الفنية المفاهيمية للسرد القصصي

Children's Fairy Tales Between Illustrations and Conceptual Art Visions of Storytelling

أ.م.د/ إيمان أسامة محمد سالم

أستاذ مساعد – قسم الجرافيك كلية الفنون الجميلة – جامعة حلوان

Associ. Prof. Dr. Eman Osama Mohamed Salem

Associate Professor – Graphic Department Faculty of Fine Arts – Helwan University

emanti76@gmail.com

• **الملخص:**

تشكل حكايات الأطفال الخيالية أولى خطوات التعلم من خلال الترفيه. فسرد القصص الخيالية للأطفال، يحفز على كثير من الأفكار والدروس والأخلاق، ويثير الإبداع والوعي المبكر لديهم. ولتلك الحكايات الخيالية باع وتاريخ متأصل في التراث الشعبي وأساطير كثير من البلدان منذ عدة عصور، إلا أنها تعرضت في العقود الماضية لتغيرات أدبية تتعلق برؤية ومخيلة كل كاتب وكل زمن. ثم يأتي دور الرسوم التوضيحية للإعلاء من القيمة الفنية للقصة، وإحالتها إلى عوالم مرئية، تساعد القارئ على تخيل الأحداث والتعايش مع أبطالها. ومع تغير مقومات العصر الحديث، واتجاه الأطفال نحو التكنولوجيا في جميع النواحي، واعتمادهم الكبير عليها كمصدر للتعلم والاستمتاع، زاد الاحتياج لابتكار أساليب وأشكال جديدة لعملية السرد القصصي، لتقليص الفجوة بين الطفل والقراءة. يدور هذا البحث حول إبداع الرسوم التوضيحية للسرد القصصي وتطورها، وظهور اتجاهات وأساليب وتقنيات فنية جديدة بجانب الأساليب الفنية الكلاسيكية، وذلك في مجال قصص الأطفال بشكل رئيسي بعد رصد موجز لذروة نجاحه في العصر الذهبي. ودراسة تطور هذا الفن جنبًا إلى جنب مع تطور الحركات الفنية، حيث ارتبطت بعض أساليب السرد القصصي في العصر الحالي بالفنون المفاهيمية المعاصرة وفنون ما بعد الحداثة. وجاء اهتمام الفنانين الشغوفين بقصص الأطفال الخيالية بإعادة تقديم رؤى فنية جديدة لهذه القصص في أعمال ثنائية وثلاثية الأبعاد، كالنحت والتجهيز في الفراغ وفن الجسد والفن التفاعلي وغيرها. يمكننا مشاهدة هذه الأعمال في عدد من المعارض والمتاحف العامة والمتخصصة في مجال فنون الطفل. يقدم هذا البحث دراسة تحليلية في تطور سرد حكايات الأطفال الخيالية كمثير إبداعي لأعمال الفنانين المعاصرين من خلال تطور حركة الفن، للوصول إلى سمات التجديد في مجال السرد البصري وبخاصة المرتبط بحكايات الأطفال الخيالية، والمتوارثة في الذاكرة الجمعية. والوقوف على الدور الثقافي لمتاحف الفن الخاصة بالطفل، في التواصل بينه وبين الأعمال المفاهيمية المعاصرة للسرد القصصي.

• **الكلمات المفتاحية:**

الحكايات الخيالية؛ الرسوم التوضيحية؛ الفن المفاهيمي؛ السرد القصصي.[

• **Abstract:**

Children's fairy tales are the first steps of learning through entertainment. Storytelling stimulates morality, creativity, and early awareness. Then comes the role of illustrations to raise the value of the story, and refer it to visual worlds, and helping the reader to imagine events and coexist with their heroes. However with the change of the elements of the modern era, and

children’s tendency towards technology, and their great dependence on it as a source of learning and enjoyment, the need increased to search for new methods to reduce the gap between the child and reading, and to emphasize the role of the artist in imagining the story through the artworks accompanying the text. This research revolves around the art of illustrations, that has developed in recent years, and the emergence of new artistic trends, styles and techniques in addition to the classic style of presenting children's stories, some of which were associated with conceptual arts and postmodern arts. Artists who are passionate about children's fairy tales have been interested in re-presenting new visions for these two-dimensional and three-dimensional stories, we can see these works in exhibitions and public and specialized children's art museums. This research presents an analytical study in the development of telling children’s fairy tales as a creative stimulus for the works of contemporary artists through the development of art movement, to reach the features of renewal in the field of visual storytelling, and the cultural role of art museums in the communication between children and contemporary conceptual works of storytelling.

• **Keywords**:
Fairy Tales**;** Illustrations**;** Conceptual Art**;** Storytelling.

• مقدمة:

تعتبر **(الحكايات الخيالية Fairy Tales)** واحدة من أشكال الترفيه بالنسبة للأطفال، ولكن هذا لا يمنع استمتاع الكبار بها أيضًا. تبدأ بالدخول في عالم خيالي وتنتهي برسالة قوية تهدف إلى تعليم القارئ الصواب والخطأ باستخدام التناقضات الثنائية: (البطل الطيب مقابل الرجل الشرير .. والخير مقابل الشر). وما يزيد القصة شغفًا وجذبًا، إقران الرسوم التوضيحية Illustrations الممتعة والجميلة بنصوص القصص الخيالية. لكن كيف يمكن للفن المعاصر باتجاهاته وأساليبه المختلفة، والذي يستخدم موضوعات ومفاهيم مماثلة، أن يترجم الحكايات الخرافية من خلال **(السرد القصصي Storytelling)** البصري، محققًا نفس التأثير المكتوب على جمهورها ! (Salerno, 2014)

إن الاتجاه نحو الرؤى الحداثية للسرد القصصي المرئي، ليس بجديد بالنسبة لبلاد العالم المتقدم – وهذا ما سنعرضه في البحث لاحقًا – ولكنها لا تزال في حيز التجارب الخاصة جدًا، لا يمكن أن نضعها في صيغة التعميم العالمي وهي بذلك بعيدة عن العالم العربي بشكل ما. ولذلك يتناول هذا البحث رصد تأثير القوة الثقافية لأدب ورسوم القصص الخيالية والخرافية، والتي تشكل وجدان الطفل منذ نعومة أظافره، وإمكانية أن نستند بوعي على هذا الجانب المهم في تشكيل وجدانه، والاستفادة منها كمصدر للمعرفة والتحكم في المدخلات الثقافية والفنية لأطفالنا الشغوفين بالتعلم والتجريب. وبخاصة مع الزخم المتراكم من القصص والأعمال الأدبية المصورة والرسوم التوضيحية لقصص الأطفال في العالم، والاتجاه الملحوظ لكثير من الفنانين المعاصرين نحو الاستلهام من قصص الأطفال، وبخاصة الخيالية منها، وتقديم محتواها في أعمالهم الفنية المفاهيمية.

وبالنظر نحو تجارب المتاحف الفنية المتخصصة للطفل في العالم الغربي، ومنها بعض المتاحف التي خُصصت فقط للسرد القصصي – كما سيلي عرضه – لوقفنا على فهم أسباب ارتباط الأطفال في الغرب المتقدم بالفن في سن مبكر وتنشئتهم على وعي بأشكاله وقيمته، ليس فقط من خلال الرسوم التوضيحية الموجودة في القصص الخيالية التي يقرأها قبل النوم – وإن كنا لا نقلل أبدًا من أهميتها وقيمتها الفنية – ولكن من خلال أشكال أخرى في الفن أكثر حداثة ومعاصرة. ففطرته الذكية والتوجيه الجيد ومشاركته في العالم الواسع، يجعله قادرًا على استيعاب الأساليب الفنية الأكثر تعقيدًا، وربما استطاع الفنان

أن يصل بأعماله المفاهيمية إلى وجدان المتلقي طالما كان لديه سلاح قوي وهو الحكايات والقصص المفضلة، ساعد في ذلك ارتباط الأطفال الشديد الآن بقوى العصر المهيمنة من الوسائط الأكثر إبهارًا وجذبًا. (الباحثة، ٢٠٢١)

- **مشكلة البحث:**

1. كيف يمكن الاستفادة من أساليب السرد القصصي البصري في تقديم وتبسيط المفاهيم والاتجاهات الفنية الحديثة للطفل في مرحلة الطفولة، عن طريق تنوع أساليب التشكيل البصري، وتطورها من مجرد رسم توضيحي ثنائي الأبعاد في كتاب إلى أشكال مفاهيمية أخرى لها القدرة على جذب الطفل في العصر الحالي؟
2. ما هو دور الفنان في الدمج بين رؤيته الفنية الخاصة، واستلهامه من حكايات الأطفال الخرافية أو الخيالية، وكيفية الاستفادة من ذلك الجسر الفني والثقافي لتشكيل الجانب الإبداعي وتنمية الخيال لدى الطفل؟

- **أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى ما يمكن أن نطلق عليه (محو الأمية الفنية لدى الطفل) من خلال تعرفه على المفاهيم والاتجاهات الفنية المختلفة باستخدام ما يألفه ويستوعبه من حكايات وقصص خيالية. تلك الحكايات التي لا يخلو منها بيت أو أسرة في العالم، ولها دور لا يستهان به في تغيير الأفكار عند الطفل على المستوى المعرفي، ومن شأن البحث السعي نحو تطور الشكل الفني للسرد القصصي، لينشأ الطفل على دراية – ولو ببسيطة – بماهية الفن التشكيلي واتجاهاته، فيشب أكثر وعيًا به. بجانب السعي المستمر للتطوير في هذا المجال الفني وهو السرد المرئي لقصص الأطفال.

- **أهمية البحث:**

ترجع أهمية البحث إلى الوقوف على تحليل الملاحظات التي نراها حاليًا في الأجيال الجديدة من الأطفال والشباب، من حيث الابتعاد شيئًا فشيئًا عن القراءة بمفهومها التقليدي، والاعتماد الأكبر على مقومات العصر الحالي من تكنولوجيا وصور ووسائط جديدة وأجهزة إلكترونية وألواح وهواتف محمولة وبرامج وتطبيقات وغيرها. الأمر الذي أوجب محاولة دعم ركائز بناء الطفل ليصبح ذو حس وتذوق فني حتى وإن لم يصبح فنانًا متخصصًا. فالبحث يقوم على طرح بعض الاتجاهات لتطوير الجانب الفني والثقافي في إبداع تقديم وسرد رسوم قصص الأطفال الخيالية بطرق تتناسب مع طبيعة ومقومات الطفل الآن.

- **فروض البحث:**

1. قصص الأطفال الخيالية Fairy Tales أصبحت من مثيرات الإلهام في أعمال كثير من الفنانين المعاصرين.
2. الطفل في سن مبكر لديه من الذكاء الفطري والقدرة على استيعاب المفاهيم والاتجاهات الجديدة في الفن.
3. الرسوم التوضيحية لكتب وقصص الأطفال، وما يستتبعها من طرق السرد القصصي Storytelling تحتاج لنوع من التطوير في الرؤى الإبداعية، مع الأخذ في الاعتبار تغير مفاهيم الأطفال وقدراتهم الفكرية والثقافية.
4. للمتاحف الفنية المخصصة للطفل دور مواز لمهمة عرض الأعمال الفنية، وهي بناء الرؤية الفنية والإبداعية لدى الطفل من خلال انخراطه في العملية الفنية ذاتها باستخدام أبسط وسيلة للتعبير وهي سرد القصص.

- **منهجية البحث: يقوم البحث على اتباع المنهج (التحليلي النقدي).**

حدود البحث: تدور الحدود الزمانية في نهاية القرن ٢٠م وحتى العقود الأولى من القرن ٢١م. أما الحدود المكانية فهي أوروبا وأمريكا، وبعض التجارب المميزة لفناني آسيا. وذلك لارتباط موضوع البحث بفنون ما بعد الحداثة والفنون المعاصرة ذات الجذور الغربية، وانفتاح وتصدر الغرب في هذا المجال بشكل أكبر عنه في العالم العربي. وعليه، يمكن مستقبلًا الاستفادة بتلك الخبرات السابقة لتصبح متواجدة وأكثر تبلورًا في البلدان العربية.

- **الدراسات السابقة**: يوجد عدد من الدراسات السابقة عن ارتباط السرد القصصي بالفن، ولكنها ركزت على الجانب النظري لدور الفن في العملية التعليمية فقط، والاستفادة من الفنون المختلفة في تطوير أساليب التدريس من خلال الرسوم والكتب الدراسية المطبوعة والرقمية، وجاءت أغلب هذه الدراسات المتخصصة في أمريكا وأوروبا وبلاد شرق آسيا. وتلاقت بعض الدراسات السابقة مع البحث المقدم في نقطة محورية، وهي ضرورة السعي نحو تطور أشكال السرد القصصي. ولكن يتخصص البحث المقدم في دراسة الجانب المؤثر للفنون التشكيلية في مجال السرد القصصي المرئي بشكل أشمل، وخروجه عن الأشكال النمطية للرسوم التوضيحية في الكتب المطبوعة أو الرقمية. ودراسة إمكانية ملائمة الاتجاهات الفنية المعاصرة في سرد وتشكيل قصص الأطفال لتعزيز مداركه وخياله في عصر العولمة والانفتاح على الآخر. والسير نحو فهم أعمق لإشكالية استيعاب الطفل للفنون الحديثة والمعاصرة بمختلف اتجاهاتها.

- **ومن تلك الدراسات والتي اهتمت بالجانب التعليمي فقط:**

1- Robertson, Joanna M. – Old Dominion University, USA – "Influence of the Digital Age on Children's Literature and Its Use in the Classroom" – Steps to Success, Crossing the Bridge Between Literacy Research and Practice – 2016.
https://courses.lumenlearning.com/literacypractice/chapter/7-influence-of-the-digital-age-on-childrens-literature-and-its-use-in-the-classroom/ (16 / 2 / 2021)

2- Savva, Andri – University of Cyprus, Cyprus & Trimis, Eli – Aristotle University of Thessaloniki, Greece – "Responses of Young Children to Contemporary Art Exhibits: The Role of Artistic Experiences" – International Journal of Education & The Arts – Volume 6 – Number 13 – November 7, 2005.
https://www.researchgate.net/publication/234705097_Responses_of_Young_Children_to_Contemporary_Art_Exhibits_The_Role_of_Artistic_Experiences (17 / 2 / 2021)

- **أولاً: أدب الطفل والقصص المصورة بين الماضي ومقومات العصر الحديث:**

يتمتع أدب الطفل وبخاصة القصص الخيالية المصورة بقدرة كبيرة على التأثير في تطور التعلم والسلوك والذكاء. فأدب الطفل يوفر فرصًا للتفكير والوعي ويمنحهم تقديرًا لتراثهم الثقافي وتراث الآخرين، ويساعدهم على الإبداع وتنمية المهارات. وللقصص بشكل عام والخيالية بشكل خاص، القدرة على تعزيز التطور العاطفي والنفسي، فهي تحتوي على لحظات من الأزمات، عندما تتخذ الشخصيات مواقف أخلاقية يراها الأطفال نموذجًا. (Crippen, 2012) أما عن شكل القصة المصورة في حياة الطفل الآن فقد تغير كثيرًا، مع انتشار عالم الإنترنت الذي أثر بشكل كبير على اهتمام الأطفال والشباب بالقراءة، فسهولة الوصول إلى التكنولوجيا والاعتماد الكبير عليها يخلق أطفالًا لديهم صعوبة في التخيل Imagination، وهذا الدور الذي كانت تقوم به القصص. فالوسيط مهم، لأنه يزيد من عوامل الجذب للسرد القصصي،

ونحن بحاجة إلى الحفاظ على مركزية ودور رواية القصص الخيالية في ثقافتنا، لأنها من الطرق الرئيسية والمهمة لفهم أنفسنا والعالم. (Hade, 2007)

وفي حين أن تغير أدب الأطفال بسبب المؤثرات الثقافية كان واضحًا على مدار العقود الأخيرة الماضية، نجد أن الاتجاهات الحالية تركز في الغالب على التطورات الرقمية والتكنولوجية أكثر من الفنون اليدوية والتشكيلية. فبالإضافة إلى إمكانات الطباعة والنشر، يجتهد المؤلفون والرسامون للحفاظ على انتباه الأطفال الذين اعتادوا على الإدخال الحسي سريع الخطى للمواد الرقمية، مثل ألعاب الكمبيوتر وعروض الفيديو، والهواتف الذكية، وتطبيقات الكمبيوتر اللوحي أكثر من الكتب والقصص المطبوعة على الورق. وهكذا أدى التعرض للرقمنة والوصول السريع للمعلومات والانفتاح الغير محدود على شبكات التواصل الاجتماعي والمعرفة السهلة عن طريق محركات البحث، إلى تغيير الأفكار والمواضيع ووجهات النظر الممثلة في أدب الأطفال. وزادت الحاجة لاستخدام تنسيقات أكثر تفاعلية تدعو الأطفال إلى الالتفات مرة أخرى نحو الكتاب والقراءة، وتشمل أيضًا التحولات في المنظور الفكري والمفاهيم الذي يتم من خلالها سرد القصص.

ويمكننا أن ندلل على ذلك عمليًا من خلال تجربة تمت في نهاية القرن العشرين عند إعادة عرض كتاب (Orbis Pictus) أو (شرح العالم بالصور The world explained in pictures) **(شكل ١) (A).** الكتاب من تأليف المعلم والفيلسوف الألماني "جون آموس كومينيوس John Amos Comenius" (١٥٩٢ – ١٦٧٠م)، الذي يعتبر أول من نادى بأهمية تسلية الطفل بجانب التعليم. أنتجت أول نسخة من الكتاب في عام ١٦٥٨م في طبعة ألمانية لاتينية، وهو أقدم كتاب مصوَّر خصيصًا للأطفال. ترجم الكتاب فيما بعد لعدة لغات لأهميته، وهو نوع من موسوعة الأطفال تم توضيحها من خلال عدد من الرسوم المطبوعة على المعدن. ويضم الكتاب (١٥٠) لوحة تلخص العالم بأسره مع شروح مصاحبة لما يقرب من ألفي كلمة ومفاهيم متنوعة للأطفال. وفي القرون الثلاثة الماضية تم نشر أكثر من مائتي طبعة في (٢٦) لغة، تظهر الأشياء والظواهر ومفاهيم الطبيعة والحياة بصور محسوسة. وبعد أكثر من ثلاثة قرون، وفي عام ١٩٩٥م تم إعادة إحياء هذا الكتاب مرة أخرى وعرض لوحاته، باستخدام أساليب تكنولوجية حديثة على شاشات كمبيوتر ذات برامج تفاعلية يمكن التحكم فيها من خلال النقر بالماوس أو اللمس لتحريك الصور، كما نرى في **(شكل ١) (B)**. بذلك تحول كتاب (Orbis Pictus) القادم من القرن ١٧م، إلى كتاب بمفاهيم وتقنيات الوسائط المتعددة Multi media في القرن العشرين. (Orbis, 1996)

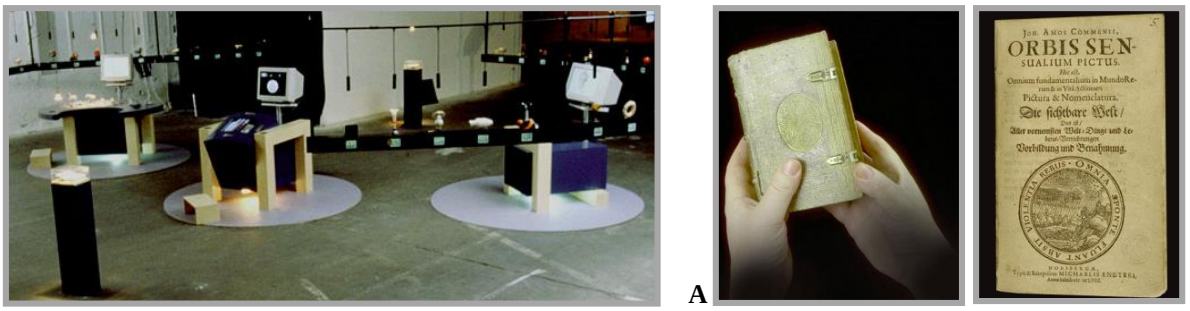

(شكل 1) (A) كتاب (شرح العالم بالصور Orbis Pictus) - ١٦٥٨م ، (B) معرض استيعادي للكتاب - عرض تفاعلي في الفراغ - ١٩٩٥م

مؤسسة Karlsruhe / ZKM للفنون البصرية - ألمانيا (Orbis, 1996)

لقد مرّ العالم بطريق طويل من التغيرات في الثقافة والعلوم والتكنولوجيا والأفكار، بين العصر الذي أنتج فيه كتاب (Orbis Pictus)، والزمن الذي أعيد عرضه فيه مرة ثانية. الأمر الذي يحتم علينا أن نتوقف قليلًا للتفكير والدراسة في

الدوافع وراء عرض الكتاب من خلال عمل مفاهيمي تفاعلي كهذا، كبديل ملح عن مجرد إعادة طباعة نسخ جديدة منه في شكل ورقي. والإجابة تتضح بساطة في عبارة .. **«لأن ذلك يواكب مقومات ومتطلبات العصر الحديث»**. (الباحثة، ٢٠٢١)

ولا تتعلق التغيرات في إنتاج كتب الأطفال المعاصرة بالتأثيرات الرقمية فحسب، بل ترتبط أيضًا بتأثير الحركة الثقافية والفنية في أواخر القرن العشرين، والمعروفة باسم ما بعد الحداثة Post Modernism والتي أدت إلى تغيرات في جميع مجالات الفنون، لذا سلط علماء أدب الأطفال الضوء على الخصائص المهمة لقصص الأطفال المصورة والمرتبطة بما بعد الحداثة. واحدة من أبرز تلك الروابط، هي عندما تخبر الرسوم التوضيحية قصة مختلفة تمامًا عن الكلمات أو تُظهر وجهة نظر مختلفة تشكل إبداع موازي للنص الأدبي. ونرى تأثيرات التطور الفني أيضًا في كيفية سرد القصص Storytelling بما في ذلك تصوير إصدارات متعددة من قصة داخل نفس الكتاب، أو سرد القصة من خلال وجهات نظر متعددة، أو سرد القصص داخل القصص، أو المزج بين الروايات و العناصر الواقعية، أو الخلط بين الخيال العلمي والتاريخ. ويُعد ظهور المؤلف والرسام في القصة ميزة أخرى شائعة لما بعد الحداثة، مثلًا عندما يشير المؤلفون أو الرسامون إلى أنفسهم داخل القصة أو يتحدثون بصورة مباشرة إلى القراء، يستتبع ذلك الرؤى المفاهيمية في نقل القصة من النص إلى الصورة والشكل. (Robertson, 2016)

• ثانيًا: الحكاية الخيالية FAIRY TALE .. كأحد فروع أدب الطفل:

يعود مصطلح (**الحكاية الخيالية**) إلى أصل منقح للكلمات الفرنسية Faerie أو Feeree، والتي تأتي من الكلمتين Fay – Ry وتعني "أرض الجان". وتشير إلى المساكن المحلية، وإلى النساء في مجتمع القرية ممن كانوا يقمن بتوزيع الأعشاب والتعاويذ، وربما كان لهم الفضل في نقل القصص والحكايات من بيت لآخر. وسرعان ما استعار الإنجليز المصطلح وتوسع استخدامه، ليصف مجموعة من المخلوقات السحرية التي يُفترض أنها مختبئة بين الغابات. وهكذا أصبح من الشائع تصنيف أي قصص ذات طبيعة غريبة على أنها تندرج تحت (الحكايات الخيالية). لكن القصص نفسها أقدم بكثير من هذا الاسم، فالعديد من الحكايات الخيالية الأولى تضع نظريات منطقية حول أصل الحياة أو تبحث عن تفسيرات لقوانين الطبيعة، تمامًا كما تهدف الأساطير. فمن هذه الأساطير الشعبية القديمة الغارقة في التقاليد الإقليمية، بدأت الحكايات الشعبية المبكرة في التشكُل، ثم التطور إلى قصص رمزية أقصر، مدت بجذورها في الموروثات الثقافية المتعاقبة، وتغيرت كثيرًا عبر الانتقال الشفاهي.

لكن الحكايات الخرافية حافظت على مكانتها كجزء من طقوس الطفولة، رغم أصولها التي ترجع إلى آلاف السنين، وتلك شهادة على جاذبيتها الدائمة كأدوات للتعليم والترفيه حتى مع قيام الكُتاب المعاصرين بتعديل القصص الأصلية. فبالنسبة لمعظم الأطفال، تعتبر القصص الخيالية أول مقدمة لهم للارتباط بالأدب، والتي تظل بعض جوانبها ملازمة لهم مدى الحياة. على هذا النحو، فهي بمثابة محك ليس فقط للماضي، ولكن أيضًا لاتحاد متعدد الثقافات بين القراء في كل أنحاء العالم. حتى القصص الخرافية المستمدة من جذور أوروبية، يمكننا في كثير من الأحيان أن تتبع أصولها إلى أبعد من ذلك، كما هو الحال مع قصة (الجمال النائم Sleeping Beauty) الذي يعكس حكاية من الأسرة العشرين في مصر القديمة تمت بمؤامرة مماثلة، أوالحكاية الألمانية (الصياد وزوجته The Fisherman and his Wife) التي لها أوجه تشابه قوية مع الحكاية الشعبية اليابانية (العصفور مقطوع اللسان The tongue-cut sparrow). هذا التخصيب متعدد الثقافات هو مؤشر لقدرة الحكايات الخرافية على إعادة تشكيل نفسها لتلائم احتياج الأجيال المتعاقبة للأدب.

وكشكل أدبي عند استخدام مصطلح (حكايات خيالية)، يميل الناس إلى التفكير في قصص ذات طابع سحري، عن قوى خفية تتدخل لتغيير حياة بطل الرواية بطريقة ما، مثل الجنية الطيبة في قصة "سندريلا Cinderella" أو الأقزام في قصة "سنووايت – بياض الثلج Snow White". فالحكايات الخيالية تشمل أساليب الأساطير والخرافات والفولكلور معًا، وتتميز بأنها تمتد لفترة قصيرة نسبيًا وتتضمن أخلاقًا أو رسالة محددة في جوهرها. وتحتوي الحكاية الخيالية على العديد من الجوانب التالية بدرجات متفاوتة: (بنية الجملة القصيرة، تميل القصة إلى مخاطبة القارئ مباشرة، ويدور معظمها في بيئة مختلفة مثل ممالك بعيدة أو غابات موحشة). وقد قسم بعض النقاد القصص الخيالية إلى أربع مجموعات مميزة:

1- **الحكاية التراكمية أو المتكررة:** وتتسم بتكرار العناصر والأحداث التي تقارن الشخصيات والسلوكيات المتناقضة.

2- **حكاية الوحوش:** والتي تحل فيها الحيوانات محل الأدوار التي يقوم بها البشر عادة.

3- **الحكاية الفكاهية:** تتميز بوجود فكاهة عبثية تتعلق بأخطاء البشر، وهدفها نقل معنى أعمق من خلال نهج غير ضار.

4- **حكاية الأطفال:** وتضم كل القصص من نوع «Once upon a time». (Evolution, 2021)

• ثالثًا: أدب الطفل والسرد القصصي وسيلة من وسائل التواصل مع الفن:

إنه لمن من الضروري فهم كيفية إدراك الأطفال للفن والأدب والاستجابة له، والانتباه إلى الإطار النظري الواسع لتعليم الفنون البصرية، مع التركيز على كل من النظرة المعرفية للفنون وارتباطها بالنظريات البنائية للتعلم. لذلك اقترح المنظرون أن تصبح القراءة والكتابة في الفنون تنطوي على تردد الأطفال الصغار على معارض ومتاحف الفن المعاصر، وأهمية اتصالهم بأشكال وأحداث وصور مرئية وأشخاص حقيقيين أثناء السرد القصصي بشكل يساوي قراءة الأدب نفسه، مما يعزز تفكيرهم في الفن خلال اللعب والاستمتاع. ولذلك كان مدعاة لأن تتطور تلك التمثيلات المرئية من الخطوط والأشكال في القصص الأدبية المصورة للطفل إلى المزيد من التنوع والثراء في الإنشاءات والوسائط والتراكيب الفنية، الأمر الذي يدعم تطوير فهمهم للفن وصنعه وتقديره. فإذا قدمت القصص للطفل في إطار فني جذاب، ارتبط بها سريعًا وشكلت لوحاتها في وجدانه رهافة وتذوق جمالي ووعي غير مباشر بالفن. ومن أجل ذلك يجب تطوير الأنواع والأشكال والطرق المناسبة لتعليم الفنون للأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة. وعلى الرغم من وجود اختلافات في الاستجابة نحو الفن بين الأعمار المختلفة، إلا أن علماء النفس قد وجدوا أن الإلمام بالفن واستخدام الوسط الفني والوعي بـه في السياق الثقافي والتاريخي والأدبي، يؤثر على تطور التذوق الجمالي عند الطفل، سواء كانت في أشكال ثنائية أو ثلاثية الأبعاد أو أي أشكال فنية أخرى معاصرة، للوصول بالطفل نحو تقدير الفن، ودمج المحفزات والأفكار في صنع عملهم الفني بل وقدرتهم على فهمها والتفضيل من بينها، وهذا ما نستطيع أن نصل إليه بمزج عالم القصص بالفن وتقديمه بسلاسة للطفل. (Savva, 2005)

• رابعًا: نبذة عن الرسوم التوضيحية الكلاسيكية في السرد القصصي للحكايات الخيالية:

يعتبر السرد القصصي Storytelling عنصرًا أساسيًا في التواصل بين البشر، فالأطفال تحتاج بشكل خاص إلى القصص من أجل تطوير مهارات الاتصال لديهم وإمكانية التعبير. وأيضًا تجذب الرسوم التوضيحية التحفيز البصري، وتمسك ببنية السرد للصغار من القراء. ويستجيب الأطفال للصور بشكل مختلف عن الأدب لأن الجزء المكاني من الدماغ يخلق مسارات جديدة، ويتحقق التشابه بين الرسم والأدب من خلال العلاقة بين الكاتب والرسام. ولذلك يمكن أن يكون للرسوم التوضيحية في الكتب معنى أكثر من الكلمات نفسها، فتلك الصور والرسوم الموجودة في القصص مهمة لتوصيل

الرسالة الموجودة بداخل الكتاب، وتؤكد الرسوم التوضيحية على أهمية هذا المعنى، فالصور لها القدرة المؤثرة على تصور أحداث وأبطال القصص وتخيلها. (Keslow, 2012)

وبالرغم من زيادة شعبية القصص الخيالية في القرن ١٩م، إلا أن هذه الرسوم التوضيحية لم تبدأ مع العصر الفيكتوري Victorian era– التي زاد الاهتمام فيها بأدب الطفل – فالعديد من القصص الخيالية التي نعرفها اليوم تعود إلى القرن ١٧م، بما فيها الحكايات الخيالية للأخوين الألمانيين "جريم Grimm" – "جاكوب جريم Jacob Grimm" (١٧٨٥ – ١٨٦٣م) و"ويلهيلم جريم Wilhelm Grimm" (١٧٨٦ – ١٨٥٩م) – تبعهم في وقت لاحق الكاتب الدنماركي "هانز كريستيان أندرسن Hans Christian Andersen" (١٨٠٥ – ١٨٧٥م). ولم يتم التعرف على الروابط الجوهرية بين الأطفال والحكايات الخيالية إلا بعد جهود هؤلاء المختارين في القرن ١٨م، ويُنسب إليهم اليوم تجديد الاهتمام بنقل الحكايات الخيالية من أشكالها الشفوية السمعية الطويلة إلى المكتوبة، حيث تشكلت معهم طفرة في الرسوم التوضيحية المصاحبة، ودام التطور والإبداع بين السرد القصصي الأدبي والبصري في علاقة أبدية لا تنقطع. لقد سعى كل جيل إلى ختم التقليد بنضارة اللغة التي تعكس اهتمامات الجمهور المستهدف، وبالنسبة إلى الفيكتوريين كان هذا يعني تسليط الضوء على الجوانب الرومانسية للقصص، بالإضافة إلى تقديم الرسوم التوضيحية ببراعة كبار الفنانين، وهو ما أطلق عليه "العصر الذهبي Golden Age" (١٨٨٠ : ١٩٢٠م) لأدب ورسوم الأطفال. (Evolution, 2021)

لقد كان فن الرسم التوضيحي الذي جاء من إنجلترا خلال العصر الذهبي غنيًا ومتنوعًا بقدر ما كان شاملاً. فنرى على سبيل المثال أعمال الفنان ورسام الكتب الإنجليزي "جون ديكسون باتن John Dickson Batten" (١٨٦٠ – ١٩٣٢م)، الذي تتميز أعماله بأسلوب ماقبل الرفائيلية Pre- Raphaelite في صور بديعة من حيث الرسم والألوان ومراعاة النسب التشريحية وجماليات الضوء ودقة تصوير الملامس والأبعاد. فنرى في عمله (الجميلة والوحش Beauty and the Beast) **(شكل ٢)** للكاتبة الفرنسية "جان ماري ليبرنس دي بومون Jeanne-Marie Leprince de Beaumont" (١٧١١ – ١٧٨٠م)، أن "باتن" أظهر جمالًا استثنائيًا للجميلة في مواجهة الوحش، إلا أنها تبدو في حالة خمول أكثر منها في حالة خوف. وربما كان الهدف هو توصيل المفهوم الضمني للقصة وهو علاقة الحب بين الجميلة والوحش. وهنا نقف عند دور الفنان كمخرج للمشهد، فهو وجميع فناني تلك الحقبة وقفوا على تصوير أحداث القصص الخيالية كما وردت، ودارت رؤاهم الفنية في نطاق السرد القصصي البصري الأمين لأعمال مؤلفيها مع إظهار الإمكانات العالية في التشريح واللون والإضاءة. (Gipson, 2019)

(شكل ٢) جون ديكسون باتن John Dickson Batten - الجميلة والوحش Beauty and the Beast
تمبرا على قماش Tempra on canvas - ٦٦ × ٧٧,٥ سم - ١٩٠٤م - متحف برمنجهام - إنجلترا (Gipson, 2019)

أما الرسام التوضيحي الفرنسي "إدموند دولاك" (١٨٨٢ – ١٩٥٣م) فعُرف بأسلوبه الاستثنائي، الذي تُرجم بشكل جميل في الموضوعات الشرقية التي استمتع بها أكثر من غيرها. جاء "دولاك" إلى إنجلترا عام ١٩٠٥م، وسرعان ما أصبحت رسومه التوضيحية مشهورة مثل معاصريه الإنجليز، وشكّل أسلوبه الزخرفي الملون للرسم التوضيحي تميزًا في أعماله بشكل لا تشوبه شائبة، بما في ذلك حكايات (ألف ليلة وليلة) و(سندباد البحار) و(رباعيات عمر الخيام). وكانت الأناقة التي تعامل بها "دولاك" مع حكايات الكاتب "هانز كريستيان أندرسن" الخيالية متقنة ومتفردة وغير مسبوقة وما زالت. في **(شكل ٣)** مشهد من قصة (حورية البحر الصغيرة The Little Mermaid) للفنان "دولاك" من خلال غلالات شفافة من الألوان المائية، ودقة في رسم أشخاص مشحونة بالتعبير، والاهتمام برسم الزخارف والعناصر التفصيلية في العمل، وقوة نقل المنظور والأبعاد. لقد كان تأثير "دولاك" وغيره من الرسامين التوضيحيين خلال العصر الذهبي على عالم الفن هائلاً، على الرغم من وضعهم المتراجع بالنسبة لفناني المعارض الفنية، بسبب الغرض التجاري من رسومهم التوضيحية. (Rogers, 2020)

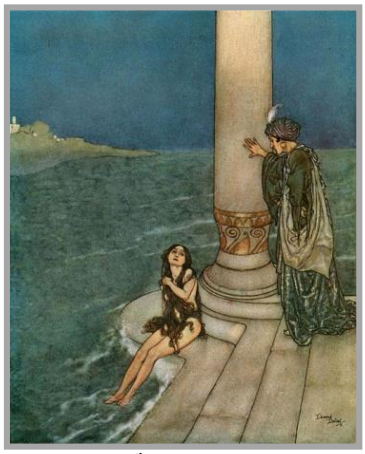

(شكل ٣) إدموند دولاك Edmund Dulac - حورية البحر الصغيرة The Little Mermaid
قلم رصاص وأحبار وألوان مائية وخدش على الورق - ٣٠,٨ × ٢٥,٢ سم - ١٩١١م (Rogers, 2020)

عرضت "الباحثة" عملين فقط من هذا النوع الكلاسيكي من رسوم القصص على سبيل المثال لا الحصر، فالقائمة طويلة جدًا، وقد نالت اهتمام الباحثين في عدد من الدراسات السابقة. لكن جاءت أهمية استعادة ملامح تلك الحقبة المهمة في مجال الرسوم التوضيحية كأساس لانتشار أدب الأطفال فيما بعد، وللانطلاق منها في قفزة نوعية نحو رصد هذا التغير الذي طرأ بالتدريج على الأفكار والمفاهيم والأساليب الفنية التي قدمها الفنانين في الحقب المتتالية. (الباحثة، ٢٠٢١م) فنحن يمكننا حاليًا أن نستدل على جذور فن الرسوم التوضيحية للسرد القصصي في أعمال مثل: "والت ديزني Walt Disney"، وكاريكاتير "مارفيل Marvel"، وأفلام "دريم ووركس Dream Works" والرسوم المتحركة في الألعاب. لقد ساعد فن الرسم التوضيحي– بلا شك – في خلق عالم خيالي لا يزال قائمًا حتى اليوم، وشكّلت حكايات الأطفال الخرافية في الماضي، فنًا آخر لا يقل أهمية عنه في الحاضر. (Rogers, 2020)

- **خامسًا: الحكايات الخيالية .. كأحد مصادر الاستلهام عند الفنانين في الفن الحديث:**

بنهاية العصر الذهبي، بدأ معيار جديد للواقعية يتسلل إلى تفسير الحكايات الخيالية الكلاسيكية والجديدة، وهي عناصر تفاقمت بسبب مآسي الحربين العالميتين والاضطرابات العالمية في أوروبا وأمريكا. أصبحت هذه الحكايات الجديدة مشبعة بجرعة واقعية للعناصر الخيالية، حيث تم إجبار الأطفال على التعامل مع الواقع بقدر ما هو الخيال. وبدأ العديد من

المؤلفين في إضافة بعض الحقائق القبيحة في الحياة المعاصرة على عوالم الجنيات السحري، مثل الإساءة والمشاكل الاجتماعية والأسرية. وتميزت النسخ المعاصرة للحكايات الخيالية بتنوع فكري وتجريب أكبر مع انهيار كل من الحواجز الدولية. فقد أدى الإخصاب المتبادل للقصص الشعبية إلى تمثيل أكبر للثقافات المتنوعة، لا سيما مع دخول الأساطير الآسيوية والأفريقية إلى القصص الأوروبية. فطرح المعاصرون مواضيع ومفاهيم جديدة، مثل معنى الوجود والإنسان وغيرها. وجاءت الرؤى الجديدة في المقام الأول للبالغين، وشهدت جوانب من التسييس لتحظى باهتمام أكبر، مثل تيار النزعة النسوية **Feminism** والعدالة الاجتماعية وغيرها. ومع ذلك، في إشارة إلى القول القائل بأن «القديم يصبح جديدًا مرة أخرى» ظل هناك اتجاه متزايد نحو العودة إلى جذور الحكايات الخيالية الكلاسيكية، حتى مع استمرار الآخرين في تغيير أصولها لتناسب جانب كبير من الجمهور، ولكن هناك اتجاه آخر ظل يسعى إلى الحفاظ على الهدف والمعنى الأصلي لقصص الأجداد. (Evolution, 2021)

وفيما يلي تستعرض "الباحثة" عددًا من الأعمال المستلهمة من قصص الأطفال الخيالية، قدمها فنانيها من منظور فكري خاص، أحيانًا يضفي عليها أفكاره، أو يغيرها، أو يستخدمها كإسقاطات رمزية. وتلك المعالجات الجديدة على مفهوم السرد البصري للقصص، قد لا تنال من الاستحسان عند الجميع، ولكنها بالتأكيد، تثير الدهشة، وتبعث على التأمل. (الباحثة، ٢٠٢١م)

في **(شكل ٤)** عمل مستلهم من قصة (مغامرات أليس في بلاد العجائب Alice's Adventures in Wonderland) **لكاتب الأطفال الإنجليزي "لويس كارول Lewis Caroll"** (١٨٣٢ – ١٨٩٨م). العمل للفنان والأديب النمساوي "أوسكار كوكوشكا Oskar Kokoschka" (١٨٨٦ – ١٩٨٠م)، وهو عمل يحمل بعدًا سياسيًا ضمن مجموعة أنتجها خلال منفاه في إنجلترا. في البداية أعطى "كوكوشكا" العمل عنوانًا ساخرًا هو (أليس في بلاد العجائب)، ثم أضاف لاحقًا كلمة (Anschluss) والتي تعني (الضم) في إشارة واضحة إلى ضم النمسا من قبل النازيين. المدينة المحترقة التي تظهر في الخلفية هي فيينا موطن "كوكوشكا" الأصلي. وتقف "أليس" التي ترمز إلى الحقيقة عارية في المقدمة محاطة بسياج من الأسلاك الشائكة، وبجانبها ثلاث شخصيات ذكور يشيرون إلى قرود الحكمة الثلاثة ويرتدون خوذات إنجليزية وألمانية وفرنسية، إشارة من "كوكوشكا" إلى الدور الذي لعبته الدول الثلاث في تقرير مصير فيينا، فهم يفضلون عدم معرفة حقيقة الكارثة التي فشلوا في منعها في مدينة "كوكوشكا". وفي المقدمة يسارًا امرأة تحمل طفلاً يرتدي قناع غاز وتنظر إلى "أليس" في فزع. تشكل قراءة هذا العمل نقدًا صارخًا من "كوكوشكا" كرد فعل الحلفاء المتحفظ على نظام "هتلر Hitler". وتشكل أسلوبية "كوكوشكا" في ضربات الفرشاة وتصوير الأشخاص مفهوم مطابق لأفكاره وأسلوبه الفني، فأضفى نوع من اضطراب المعني والشكل معًا. (Oscar, 2021)

(شكل ٤) أوسكار كوكوشكا Oskar Kokoschka - الضم Anschluss - من مجموعة أليس في بلاد العجائب Alice's in Wonderland
تصوير زيتي على قماش Oil on canvas - ٤٢ × ٣٤ سم - ١٩٤٢م (Oscar, 2021)

وفي (شكل ٥) عمل بعنوان (أقدام أسفل المائدة) ١٩٥٦م، للفنان الأسترالي "تشارلز بلاكمان Charles Blackman" (١٩٢٨ – --) الذي اشتهر بأعماله التي تستكشف ازدواجية الحياة ودمج الواقع بالخيال. استوحى رؤيته من قصة (أليس في بلاد العجائب) مع تأثره بعلاقته بزوجته "باربرا Barbara" عندما فقدت البصر. أنتج "بلاكمان" سلسلة من (٤٦) عمل فني على مدار عام كامل. يصور فيها الشخصية الرئيسية "أليس" تمثيلًا لزوجته عبر مواقف غير عقلانية. فـ "باربرا" أو "أليس" محبطة باستمرار بسبب تدهور بصرها بشكل تدريجي رغم عالمها السحري الذي تعيشه. تمزج اللوحات بين الزخارف الأيقونية من رحلة "كارول" الخيالية، مع حياة "بلاكمان" الخاصة، فكان الناتج مجموعة من الأعمال الغريبة والمسلية والمقلقة في نفس الوقت. في كل من سلسلة "أليس"، ينقل بلاكمان الأحداث السردية من وجهة نظره الشخصية، باستخدام زوايا مبالغ فيها وضوء قوي مع تسطيح واختزال للشكل واللون، مع شحنات تراجيدية تعبيرية للشخصيات . (Blackman, 2006)

(شكل ٥) تشارلز بلاكمان Charles Blackman - أقدام أسفل المائدة Feet beneath the table - من سلسلة أليس في بلاد العجائب
تمبرا وزيت على لوح - ١٢١,٨ × ١٠٦,٥ سم - ١٩٥٦م - متحف فيكتوريا الوطني - ملبورن - أستراليا (Blackman, 2006)

في عام ١٩٦٩م أنتج الفنان الأسباني "سلفادور دالي Salvador Dalí" (١٩٠٤ – ١٩٨٩م) رسومًا توضيحية لإصدار محدود من (مغامرات أليس في بلاد العجائب) **(شكل ٦)**. ولا يمكننا أن نجد اقترانًا أفضل من فنان السريالية الطليعي بأرض الخيال التي أنشأها الكاتب "لويس كارول" في مغامرات "أليس" هذه. حيث قدم "دالي" اثني عشر عملاً محفورًا بطريقة الحفر الضوئي Heliogravure التي اخترعت في القرن ١٩م. وتضم مجموعة "دالي" رسمًا توضيحيًا واحدًا لكل فصل، وقع الفنان على كل عمل أصلي في نسخ نادرة جدًا. ونرى في العمل الذي قدمه "دالي" بعض المفردات التي اشتهر بها في أعماله الفنية، كساعته المنصهرة الشهيرة التي ظهرت وسط مشهد (حفل الشاي الماجن Mad Tea Party) في **(شكل ٦) (A)**. أما في لوحة (أرض ملكة القلوب Queen Heart Land) **(شكل ٦) (B)**، فتصور مشهدًا سرياليًا لملكة القلوب في القصة، تشكلت من خلال أوراق اللعب Playing Cards تقليدية الشكل، بلمسات عفوية ساخرة من "دالي" يدمج فيها بين الشكل الإنساني للرجل والمرأة وبين الرمز. وفي العملين نرى "أليس" على بعد، تقفز بالحبل في متعة وانطلاق يشاركها أحيانا ظلها. (Stewart, 2017)

(شكل ٦) (A) سلفادور دالي Salvador Dalí - حفل الشاي الماجن ، (B) أرض ملكة القلوب - مغامرات أليس في بلاد العجائب Alice's adventure in wonderland - حفر ضوئي Heliogravure - ١٩٦٩م (Stewart, 2017)

وعلى الرغم من أن العديد من الحكايات الخرافية قد صمدت لمئات السنين، بل أكثر، إلا أنها تستمر في إعادة تقديمها بطرق جديدة ومثيرة للاهتمام. وفي هذا العرض لكتاب الفنان (ذات الرداء الأحمر Little Red Riding Hood) **(شكل ٧)** لا تهدف الفنانة السويسرية "واريا هونيجر لافاتير Warja Honegger-Lavater" (١٩١٣ – ٢٠٠٧م) إلى توضيح الحكاية الكلاسيكية، بل إلى التعبير عن الحركة والعاطفة في القصة باستخدام لغة تجريدية بسيطة، وبالتالي السماح للقارئ للتخيل الحُر. تعيد الفنانة سرد هذه الحكاية بدون كلمة واحدة، مستبدلة النص بلغة مرئية تعمل فيها النقاط كرموز. يوضح المفتاح الذي يسبق القصة (في الصورة إلى اليسار) أن النقطة الحمراء تمثل ذات الرداء الأحمر، والنقطة الزرقاء للجدة، والنقاط الخضراء للغابة، والنقطة السوداء للذئب.. وما إلى ذلك. وكلما اتجهت ذات الرداء الأحمر نحو الغابة تصبح النقاط الخضراء أكبر وأكثر كثافة، لتمثل الخطر المتزايد، وكذلك حجم الذئب. كل هذا من خلال لغة فنية بأشكال بسيطة وألوان أساسية صريحة، يمكن للمتلقي فك شفراتها بسهولة. ويتكون الكتاب من ورقة واحدة متصلة بطول ثمانية أقدام، ويتم طي الكتاب ليتحول إلى شكل أكورديون. لقد قامت "لافاتير" بتقطير القصة في جوهرها، بينما تترك في نفس الوقت مساحة للقراء للتفسير الشخصي. هذا الكتاب واحد من بين أعمال كثيرة للفنانة التي أعادت الحياة فيها للحكايات الخيالية، بينما ساهمت في نفس الوقت في تطوير شكل كتاب الفنان Artist Book الحديث. **(Little Red Riding Hood, 1971)**

(شكل ٧) واريا لافاتير Warja Lavater - ذات الرداء الأحمر - كتاب فنان مطوي على هيئة أكورديون Accordion style Artist Book
١٩٧١م - متحف نيويورك للفن الحديث - أمريكا (Little Red Riding Hood, 1971)

- **سادسًا: المعالجات المفاهيمية في السرد القصصي البصري للحكايات الخيالية:**

تعتبر الفكرة أو المفهوم Concept أهم جانب من جوانب العمل الفني. عندما يستخدم الفنان شكلاً مفاهيميًا للفن، فهذا يعني أن كل التخطيط والقرارات يتم اتخاذها مسبقًا والتنفيذ أمر بديهي، تصبح الفكرة آلة تصنع وتحرك العمل الفني. وضمن نهج (التفكير خارج الصندوق)، فإن الشخص الذي يروي القصة هو فنان يشير إلى ذكرى أو تجربة مؤثرة بشكل خاص. والذكرى لحظة غير عادية تسلط الضوء على طريقة غير تقليدية للتعلم. **ويشكل الفن المفاهيمي Conceptual Art – الذي بدأ في سبعينيات القرن العشرين – بُعدًا مهما في الفن المعاصر، زاحم أشكال الفن التقليدي بقوة. هذا النوع من الفن لم يعتمد على معايير الشكل والخامة فقط، إنما اعتمد في المقام الأول على الأفكار والمعاني والموضوعات. والفن المفاهيمي يتسع لأشكال متعددة منها: فن البرفورمانس Performance، والفن الحركي Body Art، والتجهيز في الفراغ Installation، وتجهيزات الفيديو Video- Installation.. وغيرها.** (القويضي، ٢٠١٢م، ٩ – ١٠)

وعندما نفكر في الأداء والمعالجات التشكيلية والمفاهيمية للحكايات الخيالية، تذهب أفكارنا نحو الأمراء والأميرات، والقلاع والسحر، والجزء الأهم في القصة ألا وهي النهاية السعيدة. لكن تلك الحكايات التي نعرفها، غالبًا ما تكون معقدة بشكل ملحوظ، وقد أمعن بعض المحللين في بنائها الفكري والمفاهيم التي تقدمها، ووجدوها نسخًا مغلفة بالجمال، لأساطير مروعة، وأحيانًا ذات رؤى كئيبة أو محزنة عكس ما تبدو. فمثلاً قصة (الجميلة والوحش) للكاتبة "دي بومون" واحدة من أهم كلاسيكيات قصص الأطفال، لكن الأصل الأدبي الذي يعود للكاتب اللاتيني "لوكيوس أبوليوس Lucius Apuleius" (١٢٥م – ١٨٠م) ليس بهذا القدر من الإشراق. و(القط ذو الحذاء Puss-in-Boots) للكاتب الفرنسي "شارل بيرو Charles Perrault" (١٦٢٨ – ١٧٠٣م)، اتخذ القط شهرته من اتصافه بالذكاء، لكنه في الواقع مخلوق ماكر قاسي. فقد اكتشف العديد من الفنانين **في السنوات الأخيرة** الإطار السردي المتواري لتلك الحكايات، واستعادوا أبعادها الأخرى، وتعقيداتها ورموزها المتوارية، وإعادة تصويرها في رؤى مفاهيمية جديدة **باستخدام الإطار السردي للقصة، للغوص في قضايا شخصية واجتماعية وثقافية.** (Heuzé, 2018)

ففي قصة (بياض الثلج) أو "سنووايت Snow White" والأقزام السبعة، نجد اختلافات كثيرة في التناول الأدبي، منها ما يتناول الأبعاد النفسية والآثار المترتبة على تعامل الأمير مع الموتى حين قبل الفتاة، وغيرها عن علاقة "سنووايت" المضطربة مع زوجة أبيها. **وهذا الجانب النسوي قدمته الفنانة البرتغالية "باولا ريغو Paula Rego" (١٩٣٥ – --) في سلسلة من أعمالها في إطار الواقعية السحرية. إنها تعيد تخيل شخصيات مثل "سنووايت" و"ذات الرداء الأحمر" بمعالجات غامضة ومتمردة.** (Heuzé, 2018) فـ**في (شكل ٨) نجد "باولا ريجو" تعيد حكاية "سنووايت" في هيئة شابة ولكنها تحمل الكثير من الإسقاطات النفسية. في الصورة (A) نجد "سنووايت" تلعب مع جوائز والدها، تلك الذكريات الجميلة التي لم تدم بسبب زوجة الأب المتربصة لها والتي تظهر في خلفية المشهد. وفي الصورة (B) نجدها امرأة مصابة في منتصف العمر ترتدي زي أميرة "ديزني" الشهيرة، وتعاني من ابتلاع التفاحة السامة. وفي إعادة تفسير "ريجو" للقصة تقترب الحكاية الخيالية من الرعب، مما يضيف لمسة من الانتهاك النفسي والمكائد الجنسية والارتباط بحياة الفنانة الشخصية وعلاقتها بأمها. ففي لوحة ابتلاع التفاحة، لم تعد "سنووايت" هي الأميرة الشابة الجميلة التي نعرفها بعد الآن، ولكنها بدلاً من ذلك صارت امرأة معذبة. العمل في إجماله تعبيري رمزي، يحمل رؤية جريئة لكثير من الإيحاءات الواضحة لقضايا العنف ضد المرأة.** **(Artmastered, 2021)**

(شكل ٨) باولا ريغو Paula Rego - سلسلة سنووايت Snow White Series
(A) سنووايت تلعب مع جوانز أبيها - ١٧٠ × ١٥٠ سم ، (B) ابتلاع التفاحة السامة Swallows The Poison Apple - ١٧٨ × ١٥٠ سم
باستيل على ورق Pastel on paper - ١٩٩٥م - لندن - إنجلترا (Artmastered, 2021)

وفي **(شكل ٩)** وللوهلة الأولى نعتقد أن عمل الفنان والرسام الأمريكي "مارك رايدن Mark Ryden" (١٩٦٣ – --) عن قصة "سنووايت" يعكس افتتان سريالي بالعقل الباطن والذكريات، ومع ذلك يتجاوز "رايدن" نهج السرياليين باختيار موضوع مليء بالدلالات الثقافية. تعتبر لوحة "رايدن" مثالاً مبكرًا على استخدامه للأيقونية، كما يسعى إلى الإلهام من مصادر مختلفة، كالمتاحف والثقافة الشعبية ومجموعته الخاصة التي جمعها من أسواق السلع المستعملة. هو ينجذب للذكريات التي تتعلق بطفولته، والتي تفسر اختياره لهذا الموضوع. يلعب "رايدن" مع عمل (بياض الثلج) بصورتها النقية الجميلة في الثقافة الشعبية، لكن يفسد "رايدن" هذه الصورة برسمها عارية مستلقية على أريكة، مع إشارة ساخرة لهذا النقاء في عدة رموز: كتمثال السيدة "العذراء" وزجاجة النبيذ التي تشير إلى فصل في إنجيل "لوقا Luke" يحكي عن خيانة السيد "المسيح" من أجل الذهب، كتفسير نقدي للمتاجرة بنقاء الفتاة. أما الوضع الجسدي والتكوين فيشير إلى لوحتي (أوليمبيا Olympia)، و(غداء على العشب The Luncheon on The Grass) ١٨٦٣م، للفنان الفرنسي "إدوارد مانيه Édouard Manet" (١٨٣٢ – ١٨٨٣م). وكلتاهما تسببا في ضجة عند عرضهما، وتصنيفهما بالابتذال بسبب الإيحاءات الجنسية والسلوك الغير لائق. وأضاف "رايدن" مناظر طبيعية بدائية وأرنبًا فوق شريحة من اللحم، مما جعل الرموز الجسدية والحسية أكثر وضوحًا، فاستهلاك اللحم عنده يمثل غريزة طبيعية، تمامًا مثل الجنس والرسم. وبالنهاية تغطي "سنووايت" أعضائها التناسلية بكتاب يحمل صورة الحكيم الهندي "بوذا Buddha" في إشارة دينية أخرى للتشكيك في نقاء معنى (بياض الثلج). يجمع الفنان بين الأسلوب الواقعي والسريالي، متقنًا لأدواته في التشريح والتلوين ورسم المشاهد الطبيعية محققًا اقترابًا لسمات أعمال عصر النهضة (Ryden, 2021)

(شكل ٩) مارك رايدن Mark Ryden - سنووايت Snow White تصوير زيتي - ١٨٣ × ١٢٢ سم - ١٩٩٧م (Ryden, 2021)

أما الفنان الهولندي "ستيفان ثيلين Stefan Thelen" (١٩٨١ – --) الشهير باسم "Super A"، فأعماله تربك المتفرج بسيناريوهاته الرمزية للغاية، والتي يتم تقديمها بأسلوب الواقعية المفرطة **Hyper Realism** ممتزجًا بالتصميمات الجرافيكية وتقنيات الرسم التقليدية. ويبدو عمله عن قصة "سنووايت" (شكل ١٠) وكل قصصه المصورة موجودة في توازن محكم بين الخيال والواقع، ودائمًا ما نجده يرسم جسدًا بداخل جسد آخر، أحدهما واقعي – وفي الغالب يكون الداخلي – والآخر هو الخيالي أو الفانتازي، يرسمه كقناع خارجي في شكل شرائط لولبية ملفوفة حول الجسد، يمكننا النفاذ من بينها إلى داخل وجوهر الشخصية الحقيقي. أفكار موضوعات "ثيلين" تأتي نتيجة دهشته بالنادر في عالمنا. فيقدم أفكاره في لوحاته ذات جو سريالي حالم، إلا أنها قد تنقل أيضًا نقدًا خفيًا. تعتمد رسوم "ثيلين" دائمًا على رسوم الشخصيات الكارتونية، ورسوم المناظر والمشاهد كجزء من أفلام الرسوم المتحركة، تبدو طريفة لكن بالتمعن فيها تستدعي أفكار ومشاعر إنسانية عميقة. (Super A, 2021)

(شكل ١٠) ستيفان ثيلين Stefan Thelen – سنووايت Snow White - سلسلة المحاصرون Trapped Series
أكريليك وزيت على قماش Acrylic & oil on canvas - ١٧٠ × ١٢٠ سم - ٢٠١٨م (Super A, 2021)

وتأتي قصة (الأمير الضفدع The Frog Prince) للأخوين "جريم" في المعالجات الأدبية الحديثة أكثر رومانسية عن الأصل. تدعي الإصدارات الحديثة أن التعويذة تكسرها قبلة الأميرة، لكن أصل تحول الأمير كان بسبب الأميرة المدللة التي قذفت الضفدع على الحائط. (Heuzé, 2018) في **(شكل١١)** تقدم رسامة الكتب الإيطالية "نيكوليتا سيكولي Nicoletta Ceccoli" (١٩٧٣ – --) مشهدًا من الحكاية بأسلوب سريالي. ففي جميع أعمال "نيكوليتا" نجد شعور دائم بالصمت، ويحتوي كل عمل على شخصيات غامضة في مشاهد غريبة. الحزن دائمًا كامن في رسومها، فلا يبتسم أي من الأبطال أو يضحك أو يمرح بالطريقة النموذجية لشخصيات كتب الأطفال. وبدلاً من ذلك تعتلي الشخصيات التي تشبه الدمى في أغلب الأحيان تعبيرات كئيبة غير مبالية حتى للمشاركة في أحداث القصة. وغالبًا ما تكون مشاهد "نيكوليتا" مليئة بالرموز، فتضع الحشرات والفاكهة والمخلوقات الهجينة مع البطل بأحجام أكبر منه لإضفاء حالة من التناقض. وفي العمل تُحاط الأميرة بالأسماك والضفادع التي تطير حول رأسها وهي تجلس في فراشها، الضفادع لها أجنحة، والأسماك تستخدم زعانفها للطيران، والأميرة تفقد إحدى عينيها، لكن سمكة عابرة تعوض هذا النقص بإعارة عينها للمشهد. يعتبر الاتجاه السريالي من هذا النوع في الفن الحديث معروفًا باسم "الفن الغامض" والذي يرى البعض على أنه أحيانًا غير مناسب للأطفال، حيث الهدف غير واضح والفنان لا يخبرنا بخفايا المعنى فيترك الحكم للمشاهد. **(Nessworthy, 2012)**

(شكل ١١) نيكوليتا سيكولي Nicoletta Ceccoli - قصة (الأميرة والضفدع Princess and frog prince)
أصباغ وأكريليك على ورق Pigment and acrylic on paper (Nessworthy, 2012)

وعن الرؤية الأصلية في قصة (حورية البحر الصغيرة Little Mermaid) لكاتبها **"هانز كريستيان أندرسون" فقد** كانت أكثر مأساوية، بعكس النسخ ذات النهايات السعيدة الملائمة للأطفال. في القصة الأصلية لم تنجح حورية البحر في كسب حب الأمير. ومع ذلك تُظهر القصة الأصلية مكافأة التضحية بالنفس، وهي بذلك استكشافًا للقضايا التي تنطوي على التطلع الاجتماعي. (Heuzé, 2018) **وفي إعادة لتناول قصة (حورية البحر الصغيرة)، قدمت الفنانة الأمريكية اليابانية الأصل "يايوي كوساما Yayoi Kusama" (١٩٢٩ – --) قصة "أندرسون" الخيالية في سلسلة من الرسوم التوضيحية التجريدية بالقلم الجاف والحبر كما في (شكل ١٢) (A) و (B). اشتهرت "كوساما" بعملها الطليعي في نيويورك في الستينيات، وتستخدم أكثر أشكالها شهرة وهي (العيون، الوجه الجانبي للمرأة، النقاط). وفي القصة تشكل الرسوم التجريدية للفنانة نغمة أكثر قتامة مما توحي به الكثير من أعمالها الفنية الشعبية، في صور ظلية كثيفة ومتكررة من الطبقات والأشكال المتموجة، والنقاط الشبيهة بالخلايا تحت المجهر، وهو أسلوب شديد الخصوصية ذاعت واشتهرت به في أعمالها المتنوعة في الفن المعاصر، حتى في منزلها ومرسمها لتصل إلى ملابسها، وكل ما يحيط بها كما نرى في الصورة (C).** (Cohen, 2016)

(شكل ١٢) يايوي كوساما Yayoi Kusama - من قصة (حورية البحر الصغيرة The Little Mermaid)
رسم بالقلم الجاف والحبر Pen and ink drawing - ٢٠٠٤ : ٢٠٠٧م - وصورة شخصية للفنانة مع الكتاب (Cohen, 2016)

• سابعًا: الرؤى المفاهيمية ثلاثية الأبعاد في السرد القصصي للحكايات الخيالية:

تطورت معالجات الحكاية الخيالية المرئية على نطاق واسع في القرن العشرين من خلال التطورات في تقنيات السينما والفيديو والرسوم المتحركة والوسائط المتعددة، وأدت التكنولوجيا المحسنة أيضًا إلى نشر أوسع للحكاية الخيالية، ساعد في ذلك الاهتمام بطرق وأساليب الترجمة من النص إلى الصورة. وكما أوردنا أن الفن المفاهيمي يحمل عددًا من الأساليب الفنية ذات التقنيات ثلاثية الأبعاد، كالتجهيز في الفراغ والأعمال التفاعلية والنحت. (Bonner, 2014) فمثلًا من الأعمال النحتية المرتبطة بقصص الأطفال، أعمال الفنان الأمريكي "بول مكارثي Paul McCarthy" (١٩٤٥ – --)

الذي كسر قيود الرسم باستخدام مواد غير تقليدية ومجموعة متعددة من الوسائط، كالأداء والتصوير الفوتوغرافي والفيديو إلى النحت والرسم. وقد بدأ مشروع (الثلج الأبيض White Snow) **(شكل ١٥)** كمجموعة من الرسوم في عام ٢٠٠٩م، مستلهمًا قصة "سنووايت" في شكل وجهها يذوب كالثلج، وتطورت السلسلة إلى سرد متعدد المنصات، فقام بدمج فنون النحت والأداء والتركيب معًا. (Paul, 2012)

(شكل ١٥) بول مكارثي Paul McCarthy - سنووايت Snow White - نحت / سيليكون، فيبرجلاس، معدن Silicone, fiberglass, steel

١٤٠ × ١٦٠ × ١٨٥ سم - ٢٠١٣م - نيويورك - أمريكا (Paul, 2012)

وشهدت حكاية (ذات الرداء الأحمر) أيضًا عدة صياغات أدبية. وبالرغم من أن كل النسخ تستخدم الذئب كقصة رمزية للتحذير من التحدث إلى الغرباء، إلا أن العديد من الروايات الأكثر قتامة تكشف عن طبقة عنيفة تحت القشرة الأولية، وعن علاقة الطفلة بالذئب. (Heuzé, 2018) تجسدت هذه العلاقة في العمل النحتي الذي انتجته الفنانة الأمريكية ألمانية المولد "كيكي سميث Kiki Smith" (١٩٥٤ – --) بعنوان (ابنة Daughter) **(شكل ١٣) (A)**. وهو واحد ضمن مجموعة كبيرة من أعمالها المستوحاة من القصص الخيالية، كلها تستجيب للضغوط الثقافية المعاصرة لا سيما فيما يتعلق ببناء الهوية. وتحولت "سميث" إلى الحكايات والأساطير الفولكلورية بحثًا عن الشخصيات الأنثوية الدرامية، وتستخدم النحت لخلق الأشكال البشرية والحيوانية، وتعتبر الحيوانات دائمًا جزءًا من العمل، لإظهار التعاطف بين الإنسان والحيوان. (Salerno, 2014)وتحاول "سميث" فهم ضعف الطفولة في عملها عن (ذات الرداء الأحمر)، يدور المفهوم حول استجواب هوية الشخصية وعلاقتها بالذئب، وهي رؤية بالنسبة للكثيرين غير مستحبة أو أخلاقية، لكن ترفض "سميث" هذه الفكرة، مرتكزة فقط على أوجه التشابه والترابط بين الفتاة والذئب. وتشير "سميث" في هذا النحت بأن الذئب والفتاة قد اجتمعا وأنجبا نسلًا يجسد بشكل خارق الخصائص البشرية والحيوانية معًا، ويتحدى المفاهيم التقليدية للخير والشر. وفي إعادة تصور نفس الموضوع محفورًا في الصورة **(B)** تؤكد المعنى ذاته في عمل بعنوان (ميلاد Born) تظهر فيه الفتاة والذئب ينجبان طفلة. (Bonner, 2014)

B

A

(شكل ١٣) كيكي سميث Kiki Smith - ذات الرداء الأحمر Little red riding hood - متحف بروكلين - أمريكا

(A) ابنة Daughter - نحت - ١٩٩٩م ، (B) ميلاد Born - ليثوجراف - ١٧٢,٧ × ١٤٢,٢ سم - ٢٠٠٢م (Bonner, 2014)

أما الفنان "خورخي بينيدا Jorge Pineda" (١٩٦١ – --) من الدومينيكان، فهو يرفض العنف بأشكاله المختلفة وبخاصة ضد الأطفال. ويشكل استخدام أدب الأطفال أحد مصادره الإبداعية الرئيسية في تشكيلات متوترة. كما نرى الحال في (شكل ١٤) عن قصة (ذات الرداء الأحمر)، حيث يتعمق في مفهومه في طرح مشكلة إساءة معاملة الأطفال، فيربط "بينيدا" الصورة الطفولية المقنعة بالاختباء والخداع الذاتي الذي يستخدمه الكبار. رسم "بينيدا" سلسلة من التراكيب متوسطة الحجم نفذت في كرة الحبر الأسود، وفي هذا الرسم يستخدم مجسم الطفلة ذات الرداء الأحمر كذريعة لاستحضار عملية تحليل ومعرفة شخصية الإنسان، ذلك الطفل البريء الذي يعيش في عالم البالغين الموحش كالغابة، كما ورد بالقصة. (Pineda, 2012)

(شكل ١٤) خورخي بينيدا Jorge Pineda - ذات الرداء الأحمر Little red riding hood - تجهيز في الفراغ Installation
٢٠١٤م - متحف الفن المعاصر FIAC - باريس - فرنسا (Pineda, 2012)

أما حكاية (سندريلا Cinderella) الأشهر والأكثر ارتباطًا بوجدان الفتيات الصغيرات. فقد تمت إعادة تفسيرها عن ذلك النموذج للقهر. وعلى الرغم من أن النهاية السعيدة تظل كما هي في الإصدارات الكلاسيكية، إلا أن وجود النعال الزجاجية ظل جانب متغير، فقد صُنعت مثلًا في معالجة أخرى من فرو السنجاب. فالقصة واسعة التأويل والتنقيح، الأمر الذي أثار الفنانين لتناولها من أكثر من جانب. ولابد أن نؤكد على أن أكثر العناصر تشويقًا وأهمية في هذه القصة، هو الحذاء. (Heuzé, 2018) هكذا تصرح فنانة كوريا الجنوبية المقيمة في ألمانيا "مين جيونج سيو Min Jeong Seo" (١٩٧٢ – --) بأن معظم الفتيات يكبرن على قراءة القصص الخيالية، وتأثرن بها وتعاملن في حياتهن مع هذا النوع من الأحلام الرومانسية. وتشير إلى أننا في الجزء الأول من القصة نجد "سندريلا" شخصية حزينة تضطر دائمًا إلى التضحية بنفسها من أجل الآخرين، ومع ذلك فقد تغيرت حياتها بأعجوبة بسبب هذا الحذاء. فقدمت الفنانة عملًا نحتيًا مجهزًا في الفراغ يعبر عن دور الحذاء في القصة، يضم عشرات من الأحذية الزجاجية المنتشرة في أرض القاعة (شكل ١٥) اختلفت ألوانها ودرجاتها من الأبيض الشفاف إلى الأحمر الداكن، فهذا العمل يحمل شغفًا كبيرًا لتلمس عناصر العمل والتجوال بداخله، وتجريب زوار المعرض لانتعال الحذاء حتى ولو على سبيل الفضول بحثًا عن السعادة الخيالية. (Min, 2005)

(شكل ١٥) مين جيونج سو Min Jeong Seo – الحذاء الزجاجي - قصة سندريلا Cinderella story
تجهيز في الفراغ Installation - ٢٠٠٥م (Min, 2005)

وفي القصة ذات الأصل الشعبي (الجمال النائم Sleeping Beauty) التي تنتهي بالسعادة مع كسر التعويذة بقبلة الحب. قدمت نسخة الكاتب "تشارل بيرو" عام ١٦٩٧م إضافات مفاهيمية غريبة في علاقة الأمير بالفتاة وعلاقة الأحياء

بالموتى. (Heuzé, 2018) وبالاسترسال في الحديث عن الغرابة في السرد القصصي المعاصر، وفي عام ٢٠١٢م أحدث عمل (الجمال النائم Sleeping Beauty) للفنان الكندي الأوكراني "تاراس بولاتيكو Taras Polataiko" (١٩٦٦ – --) ضجة كبيرة وقت عرضه. حيث يُعرض على الزائر – أي شخص يزيد عمره عن ١٨ عامًا – القدوم وإعطاء قبلة لفتاة جميلة نائمة في وسط أحد صالات العرض في "المتحف الوطني للفنون" بأوكرانيا، إذا فتحت الفتاة عينيها له، سيتعين على الجميلة وهذا الشخص أن يتزوجا بالفعل كما ورد بالقصة. (Gobert, 2012)

هذا العمل أقرب إلى قصة خيالية تدب فيها الحياة **(شكل ١٦) (A)** و **(B)**، أراد الفنان أن يجعل القصة حقيقية ويصبح هو جزءً منها، منفعلًا بذلك المعنى للصبر والسكون المتمثل في أحداث القصة. كان الجمهور متحمسًا للغاية أثناء معايشة العرض، لأنهم أحبوا فكرة العيش في قصة خيالية. وكان العرض يتم بشكل يومي ارتجالي دون معرفة مسبقة لما سيحدث بالفعل. ويشير الفنان أن الاختلافات والتعقيدات التي قد تطرأ على العمل أثناء عرضه قد يغير مسار القصة الأصلية، وربما هذا طبيعي لأن الحياة تتغير، والمرأة أيضًا تتغير، وربما لا تتصرف الفتاه مثلما حدث في القصة الأصلية وترفض الزواج. وأمام ذلك واجه العمل كثير من النقد حول حرية التعامل مع الموروث الثابت للقصة التي يجب الحفاظ عليها الناس لأطفالهم جيلًا بعد جيل، والإبقاء على شكلها الرومانسي منذ أكثر من ٤٠٠ عام مضت. فعندما يتعلق الأمر بسرد هذه القصص الخيالية، فإننا نفهم أنها كتبت في سياق تاريخي محدد، والتي لم تعد ذات صلة بمجتمعاتنا الحديثة. إن عرض مثل هذا لهو عرض تفاعلي مئة بالمئة، يقدم الحكاية بشكل لا يمكن أن يمحى من الذاكرة البصرية، يتفهمه الطفل في سن صغير ببساطة، كما نرى في الصورة **(B)** لأصغر زوار المعرض. (Gobert, 2012)

B A

(شكل ١٦) تارا بولاتايكو Taras Polataiko - الجمال النائم Sleeping Beauty - تجهيز وبرفورمانس Installation & Performance

٢٠١٢م - متحف أوكرانيا الوطني National Art Museum of Ukraine - كييف - أوكرانيا (Gobert, 2012)

وأخيرًا نستعرض أحد أعمال الفنان والنحات الأمريكي المعاصر "جاك هيل Jac Hill" عن قصة الدمية الخشبية (بينوكيو Pinocchio) التي نشرت عام ١٨٨٣م، للمؤلف الإيطالي "كارلو كولودي Carlo Collodi" (١٨٢٨ – ١٨٩٠م). يقدم "هيل" جميع أعماله النحتية من البرونز مع دمجها بخامات أخرى. في **(شكل ١٧)** عمل بعنوان (ندبات بينوكيو) يقدم فيه معالجة جديدة للقصة بتركيب نحتي من خامات مختلطة لرؤية مفاهيمية تراجيدية، رغم اعتماده على عناصر قليلة كالقدمين واليد وبعض الخيوط المتدلية. قطرات الدماء تحمل أبلغ المعاني في الشعور بقسوة الحياة بداخل جسد الدمية التي يعيشها "بينوكيو"، يمكننا أن نقول أن هذه المعالجة تشابه – في صورتها فقط – وضع المسامير في جسد السيد "المسيح" في لوحات الصلب. وقد يرى البعض القصة من وجهة نظر أخرى، بأن من يحميه من السقوط هي تلك اليد العطوفة لصانعه. (الباحثة، ٢٠٢١) الفنان "جاك هيل" من الفنانين شديدي التأمل في الحياة والبشر وأبعادهم النفسية، ويتبلور هذا كله بمصداقية من خلال ما يقدمه من فن، فيقول: «ولدت الأفكار من ملاحظة الوجود البشري بكل هوله وعبثيته، وتؤدي إضافة أسلوبي الخاص وغير المألوف إلى التعبير عن الحياة في ديمومة البرونز. الناس ليسوا سوى جزء واحد من الكوكب كله، وأعمالي

المجسمة هي اكتشاف لمزج الإنسان في أجزاء مختلفة من البيئة مع الحفاظ على الصفات التشريحية له». (Pinocchio, 2021)

(شكل ١٧) جاك هيل Jack Hill - ندبات بينوكيو Pinocchio Stigmata - خامات مختلطة Mixed Media
٣٣ × ٧١,١ × ٢٠,٣ سم - ٢٠١٧م (Pinocchio, 2021)

• ثامنًا: الفنان بين رؤيته الإبداعية والسرد الخيالي لحكايات الأطفال:

بعد عرض وتحليل تجارب الفنانين المعاصرين وعلاقتهم بالسرد القصصي المرئي من خلال الرسوم التوضيحية التقليدية أو الأعمال المفاهيمية، تستنبط "الباحثة" عدة نقاط مهمة عن دور الفنان في الدمج بين رؤيته الإبداعية واستلهامه لحكايات الأطفال الخيالية من خلال السرد القصصي، سواء كان فنان ذو تجربة مستقلة، أو من خلال منظومة ثقافية:

1- يقوم الفنان الذي يعمل في مجال السرد القصصي للأطفال بعملية متوازنة بين المفهوم الفكري للقصة والرؤية الجمالية التي تعود لأساليبه وأفكاره الخاصة، وهي عملية تستدعي الكثير من التفكير حتى لا يصبح العمل مجرد رسوم توضيحية شكلانية فقط، وفي ذات الوقت يحافظ على شغف المتلقي وفضوله لكشف غموض العمل الفني وفهمه.

2- لقصص الأطفال الخيالية جذور راسخة في الموروث الثقافي، وعلى الفنان أن يكون حذرًا في الخوض فيه، لأنه بذلك يمثل تغييرًا جذريًا قد لا يتدارك أثره على الطفل فيما بعد. ولكن بعض الفنانين قاموا بفصل واضح بين القصة الأصلية والعمل الفني، وعليه تحول السرد القصصي إلى عمل مفاهيمي جديد يحتمل الرفض أو الاستحسان.

3- للفنون قوة ذات تأثير كبير على الطفل إذا امتزجت بالسرد القصصي الخيالي، ولهذا يقع على عاتق الفنان المهتم بهذه الرؤى، مسؤولية غرس جذور الفن وأساليبه واتجاهاته بشكل غير مباشر في وجدان الأطفال في مرحلة مبكرة.

4- لم يكن لمجال السرد القصصي المرئي لأدب الأطفال أن يقدم جديدًا، إلا بتجارب جريئة كالتجارب المفاهيمية السابقة.

5- لم يكن الفنان ببعيد أبدًا عن تطورات عصره، ولذلك مثلت التكنولوجيا عند البعض منهم أساسًا في بناء العمل الفني بنسب متفاوته، حتى وإن كان مجرد عوامل مساعدة للإسراع في إنتاج العمل الفني فقط مثل طباعة المجسمات 3D، أو المطبوعات الورقية أو تركيب الصوت والضوء وغيرها من الجوانب التقنية البحتة. (الباحثة، ٢٠٢١م)

• تاسعًا: دور المُتحف في الدمج بين السرد القصصي والفنون التشكيلية .. تجارب ذات صلة:

يعتبر المتحف أحد العوامل التي تسهم في تقدير الطفل المبكر للفن. وهناك أدلة بحثية تظهر أن الفن يمكن أن يكون له تأثير إيجابي على الأطفال الصغار (حتى سن الثامنة) عندما يرتبط الفن بالأنشطة المختلفة في مرحلة الطفولة. فلم يعد الفن منعزلاً كمسعى إبداعي، بل أصبح يستخدم كوسيلة لمساعدة الأطفال على التعلم وفهم العالم من حوله. ولذلك نجد أن من أوائل المهتمين بهذا الجانب هي المتاحف الفنية، ومتاحف الطفل خاصة، وتطوير برامج صناعة الفن التي تشرك الجمهور

والأهل مع أطفالهم في الأعمال الموجودة في معارض متغيرة أو دائمة. على سبيل المثال، طوّر (متحف ويتني للفن الأمريكي Whitney Museum of American Art) في نيويورك / أمريكا، مجموعة واسعة من البرامج لإشراك الأطفال من جميع الأعمار. وبالمتحف تدور ورش العمل والمناقشات بين الزوار من الأطفال وذويهم وبين الفنانين. فيما بعد تم تبني نماذج مماثلة من قبل متاحف عديدة بأمريكا وأوروبا. فيهدف (متحف الأطفال للفنون Children Museum of Art - CMA) بنيويورك / أمريكا، إلى استغلال ما يمتلكه الأطفال بالفعل، ألا وهو (الفضول)، ومحاولة بناء جسور الثقة بين المتحف والطفل. (Lesser, 2016)

وقد زادت أيضًا أهداف بعض المتاحف للربط بين الفن والأدب، فشيدت عدة متاحف متخصصة أو تشتمل على منهجية للسرد القصصي. ولأمريكا نصيب كبير في هذا المجال بعدد من المتاحف النوعية. يمكننا القول بأن بدايتها تعود مع متحف تأريخ أفلام مؤسسة "والت ديزني Walt Disney" في مدينة الألعاب الترفيهية (ديزني لاند Disney Land) بأمريكا وفرنسا واليابان والصين، وآخرها بالجزائر. والذي يضم عرض مفاهيمي خاص لدُمى وتماثيل ولوحات ونصوص مصورة لأفلام السينما والتحريك التي أنتجتها مؤسسة "والت ديزني" وشخصياتها للحفاظ عليها كتراث، مع الترويج لها. فحتى اليوم ترتبط في أذهاننا قصص الأطفال التي قدمتها مؤسسة "والت ديزني" أكثر من المعالجات الفنية والسينمائية في شركات إنتاج أخرى. فنجد مثلًا أن شخصية "الوحش" **(شكل ١٨)** لا تخرج من ذاكرة الأطفال عن صورته في فيلم الرسوم المتحركة (الجميلة والوحش) الذي قدم عام ١٩٩١م، وحتى إعادة تقديمه في النسخة المعالجة سينمائيًا عام ٢٠١٧م. (الباحثة، ٢٠٢١م)

(شكل ١٨) عرض لقصة (الجميلة والوحش The Beauty and The Beast) - فن مفاهيمي Concept Art - ٢٠١٢م
ديزني لاند Disney Land - باريس - فرنسا (Beauty, 2012)

وفي "متحف القصة Story Museum" في أكسفورد / إنجلترا، نجده يعيد قصص الأطفال مرة أخرى إلى الحياة، فعلى الرغم من أن المدينة موطن لأشهر مؤلفي كتب الأطفال الإنجليز مثل: "لويس كارول" و"سي. إس. لويس C.S. Lewis" (١٨٩٨ – ١٩٦٣م) و"جيه. آر. تولكين J.R.R. Tolkien" (١٨٩٢ – ١٩٧٣م) و"ديانا وين جونز Dianna Wynne Jones" (١٩٣٤ – ٢٠١١م) وغيرهم، إلا أن أكسفورد لديها مستويات عالية من الأمية بين الأطفال. وتشمل المعارض الدائمة بالمتحف عرض العمل الفني "غابة الهمس The Whispering Wood" **(شكل ١٩)** حيث يمكن للأطفال الاستماع إلى الأشجار التي تحكي القصص الخيالية. كما يوفر المتحف مساحات لجلسات سرد القصص الحية مع مرشدين مدربين خصيصًا. ففي **(شكل ٢٠)** عمل تفاعلي عن كتاب (الطفل الذي لن يذهب للنوم The Baby Who Wouldn't Go to Bed) للكاتبة والرسامة الإنجليزية "هيلين كوبر Helen Cooper" (١٩٦٣ – ١٩٩٤م)، من خلاله يستعرض مشهد من مشاهد الكتاب بشكل تمثيلي. فالمتحف يسعى إلى إلهام الآباء والأطفال للتواصل مرة أخرى من خلال القصص، والحرص على تحويل الزوار إلى رواة قصص بشكل أو بآخر. لكنه بجانب المتعة، يريد أيضًا أن يساعد في تغيير الطريقة التي ينظر بها الأطفال البارعون في مجال التكنولوجيا إلى القصص والكتب، واستخراج المتعة من الكتاب بشكل فني جديد يناسب لغتهم الجديدة. (Narnia, 2020)

(شكل ١٩) غابة الهمس The Whispering Wood

(شكل ٢٠) وقت النوم The Time for Bed

تجهيز في الفراغ Installation - متحف القصة The Story Museum - أوكسفورد - إنجلترا (Narnia, 2020)

تجربة متحفية أخرى أكثر تخصصًا، هي تجربة متحف (شوجر هيل للأطفال للفن والسرد القصصي Sugar Hill Children's Museum of Art & Storytelling) في نيويورك / أمريكا. وفيه يخلق الأطفال وعائلاتهم عالمًا من الفن والسرد القصصي. حيث يمكن للزوار مقابلة الفنانين المقيمين في مراسمهم ومشاهدة الأعمال الفنية التاريخية والمعاصرة وسماع القصص التي تُروى بأساليب فنية مختلفة. فالمتحف يوفر نافذة على الفن والثقافة المتنوعة لهذه الأحياء الأسطورية. وكون سرد القصص من أقدم وأقوى الوسائل لمشاركة التاريخ والقيم وتشجيع الخيال لدى الأطفال، فكانت هي إحدى ركائز التعلم في متحف (شوجر هيل)، وذلك من خلال مجموعة متنوعة من طرق السرد. يقوم رواة القصص بإشراك الأطفال في التقاليد الشفوية الخالدة وكذلك من خلال فنون المسرح والحركة والموسيقى والسينما والفن البصري. فضلاً على الأشكال الشفوية والأدبية، يتم تشجيع الأطفال على تأليف ومشاركة قصصهم الخاصة، بهدف تبني المهارات اللغوية والتفكير النقدي. كما يركز المتحف بنفس القدر على الالتزام بتقديم الحكايات الخيالية الكلاسيكية، والتاريخ والأساطير التي تعكس البيئة العرقية والثقافية المتنوعة. يحتوي المتحف على مساحة عرض مركزية كبيرة، تسمى (غرفة المعيشة The Living Room)، وهي مغطاة حاليًا بجدارية سردية نابضة بالحياة رسمتها الفنانة الأمريكية المعاصرة "سايا وولفالك Saya Woolfalk" (١٩٧٩ – --)، **(شكل ٢١)** بالتعاون مع ابنتها البالغة من العمر أربع سنوات. تتخلل القاعة مقاعد وطاولات برتقالية زاهية، حيث تتجمع العائلات لمشاهدة الفن وصنعه، والمشاركة في عروض الموسيقى ورواية القصص **(شكل ٢٢)**، مؤكدة على أن صناعة الفن والتعلم لا ينفصلان عن المشاهدة والمشاركة في المعارض، وكلها تنطوي على عمل الأطفال بدرجات متفاوتة. (Sugar Hill, 2021)

(شكل ٢١) الفنانة "سايا وولفالك" مع عملها بالمتحف

(شكل ٢٢) غرفة المعيشة The Living Room

متحف شوجر هيل للطفل للفن والسرد القصصي Sugar Hill Children's Museum of Art & Storytelling -USA (Sugar Hill, 2021)

في (شكل ٢٣) أحد تجارب متحف (شوجر هيل) حول الدمج بين الفنون المفاهيمية، وأدب الأطفال، مستوحى من كتاب (لكن لا يوجد فيلة !But No Elephants) الغلاف في صورة (A) للكاتب والرسام الأمريكي "جيري سماث Jerry Smath" (١٩٣٣ – ٢٠١٩م) والذي نشر عام ١٩٧٩م. قدم هذا المعرض أربعة من برنامج الفنان المقيم بالمتحف، كرسالة

تقدير وامتنان لروح النشاط والعمل الجماعي في المجتمع. استوحى الفنانين من أحداث الكتاب تجسيد وتشكيلات فنية للشخصيات المختلفة في كتاب "سماث" وتسعى كل من ممارساتهم الفنية – على الرغم من تباينها – إلى دراسة الطرق المختلفة التي من خلالها يمكن صنع، وإصلاح، وتجميع، وتقديم احتمالية تفكيك التسلسلات الهرمية القائمة، بإعادة تصور القيم التي نتمسك بها كأعضاء في المجتمع. وكان الهدف إعطاء الفرصة للأطفال أن يشاركوهم رؤيتهم، كما في صورة (B)، من خلال تبسيط المعنى عبر وسائل الحكي والقصّ ودمجه بالفن التركيبي مستخدمين الفن المفاهيمي المعاصر كوسيلة. (Sugar Hill, 2021)

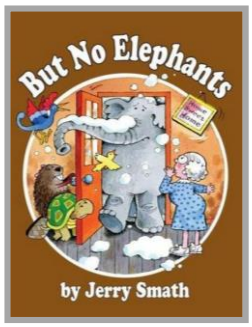

A

B

(شكل ٢٣) (A) غلاف كتاب (لكن لا توجد فيلة No elephants ، (B) عرض تفاعلي مع الأطفال لنفس الكتاب من داخل متحف شوجر هيل للأطفال للفنون ورواية القصص Sugar Hill Children's Museum of Art & Storytelling - أمريكا (Sugar Hill, 2021)

نخلص في النهاية .. أن جميع التجارب السابق عرضها عن رؤية ومحاولات دمج السرد القصصي لحكايات الأطفال الخيالية بالفن، وتطوره من من حيث الشكل والمفهوم والتناول من الكلاسيكي إلى المعاصر، وإن دل فإنه يدل على وجود توجُه حتمي نحو الاستفادة من ذلك المزيج الذي أوجد له مكان مهم في الفن الآن، خاصة مع ازدياد عزوف الطفل عن القراءة تقريبًا، واعتماده على لغة أبسط وأسرع وأكثر إبهارًا في العصر الحالي. هذا بالإضافة إلى أنه دلل أيضًا على أن مجال قصص الأطفال الخيالية التقليدية حول العالم إرث لا يستهان به، ولا يستأثر به بلد واحد. فالقصص الخيالي له جذور ضاربة حول العالم، تشكّل في كل بلد بثقافتها وتقاليدها الخاصة، وهو مجال لا يعتبر ساذجًا أو قاصرًا على الأطفال، بدليل اتجاه كثير من الفنانين نحوه. فالقديم دائمًا ما يعود للحياة في ثوب جديد، والتاريخ يكرر نفسه مرات ومرات. وما علينا كباحثين ودارسين في مجال الفنون، إلا أن نوسع مداركنا وتجاربنا، لاكتشاف الاتجاهات الجديدة في مجالات التخصص كمجال السرد القصصي البصري والمرتبط بفنون الكتاب على سبيل المثال. وبالرغم من أن بعض هذه المعالجات المفاهيمية لا يمكن التعامل معها بمعايير الرسم التوضيحي المطبوع، إلا أن الانفتاح في عصر الصورة الآن وتوسع فروع الفن وتشابكها، كفيل بقبول التغييرات التصميمية المتوازنة بين الأشكال التقليدية والحديثة في رسم وتصميم كتب وقصص الأطفال. (الباحثة، ٢٠٢١)

• النتائج:

1- إن مجال الرسوم التوضيحية Illustrations يحتمل المزيد من التطوير في الشكل والمضمون، تماشيًا مع مقومات العصر الحديث ومتطلباته التطبيقية.

2- لقد تغيرت سيكولوجية الطفل وبنائه المعرفي والثقافي في عصر التكنولوجيا، وتغيرت معه متطلباته في الاستمتاع والتعلم. الأمر الذي دعا المختصين في مجال أدب ورسوم وعروض الأطفال، للبحث عن طرق تسد الشغف البصري والفكري لديه، منها التوجه نحو استخدام الفن التشكيلي كوسيط.

3- تمثل استجابات الأطفال للفن المعاصر الممتزج بتمثيل الحكايات الخرافية مؤشرًا جيدًا وسريعًا، لارتباط المفاهيم والأفكار التي وردت بالقصص في أذهانهم بلغة بصرية مألوفة من خلال شخصيات خيالية محببة ومؤثرة.

4- إن أهمية التوجه نحو دمج أدب الأطفال مع اتجاهات الفن التشكيلي المختلفة، يشكل صورة من صور الوعي بالفن في سن مبكر، وله تأثير مباشر في بناء الجانب المعرفي والعاطفي والاجتماعي عند الطفل.

5- لقد تعددت المعالجات التشكيلية البصرية والمفاهيمية التي يمكن أن تجسد الحكايات الخرافية في أدب الأطفال، ولكن كانت الاستجابة أكبر من خلال العروض المجسمة والتفاعلية، والتي تحتاج لكثير من الفهم والتجريب والثقافة.

6- في مجال أدب الطفل، قد يتم تشويه تراث القصص تحت وطأة التغيرات السياسية والاجتماعية كأي منتج ثقافي.

• التوصيات:

1. فتح باب التجريب في الدراسة العملية بمجال فنون الكتاب، أمام الرؤى المفاهيمية الجديدة في مجال الرسوم التوضيحية المرسومة والمجسمة والتفاعلية.
2. ضرورة البحث في إحياء التراث الشرقي والعربي لأدب الأطفال وتنقيحه بصورة جيدة، وبخاصة الحكايات الخرافية والخيالية، حتى تصبح مصدرًا لبناء المفاهيم الإيجابية والتعلم والتثقيف.
3. الاهتمام ببناء الطفل فنيًا في سن مبكر من خلال برامج ونشاطات ثقافية، وورش تفاعلية معدة خصيصًا لذلك.
4. اهتمام الفنانين بتقديم ورش فنية، لتبسيط المفاهيم والاتجاهات الفنية المختلفة للأطفال، من خلال السرد القصصي.
5. تعزيز دور المتاحف وقاعات العرض في التواصل مع رواد أدب الطفل من ناحية، ومع الفنانين التشكيلين من ناحية أخرى، وذلك للخروج بإنتاج ثقافي فني مخصص للطفل، والاستفادة من قوة تأثير القصص والحكايات على الأطفال.
6. الاتصال والاحتكاك بالتجارب المشابهة في متاحف أوروبا وأمريكا، والتي تختص بالسرد القصصي المرئي.
7. التوجه نحو الاستفادة من المعالجات البصرية المعاصرة لأعمال السرد القصصي، وإمكانية تسجيلها بالصور الفوتوغرافية وعروض الفيديو، وإعادة تقديمها كتصميمات مطبوعة بداخل الكتب للاحتفاظ بها لفترات زمنية أطول.

• المراجع / المصادر:

• **الكتب العربية:**

1- القويضي، يسري. ٢٠١٢. المفاهيمية في التشكيل العربي. مصر. دار إيزيس للإبداع والثقافة.

١-alquaydi , yasri. 2012. almafahimiat fi altashkil alearabii. masra. dar 'iizis lil'iibdae althaqafati.

• **Researches:**

2- Robertson, Joanna M. 2016. Influence of the Digital Age on Children's Literature and Its Use in the Classroom. USA. Old Dominion University. Steps to Success, Crossing the Bridge Between Literacy Research and Practice.
https://courses.lumenlearning.com/literacypractice/chapter/7-influence-of-the-digital-age-on-childrens-literature-and-its-use-in-the-classroom/ (16 / 2 / 2021)

3- Savva, Andri. 2005. University of Cyprus, Cyprus & Trimis, Eli – Aristotle University of Thessaloniki, Greece. Responses of Young Children to Contemporary Art Exhibits: The Role of Artistic Experiences. International Journal of Education & The Arts. Volume 6 Number 13 – 24 pages.

https://www.researchgate.net/publication/234705097_Responses_of_Young_Children_to_Contemporary_Art_Exhibits_The_Role_of_Artistic_Experiences (17 / 2 / 2021)

• **Sources from Internet**:

4- Artmastered, 2021. Paula Rego.
Retrieved from: https://artmastered.tumblr.com/post/138232987520/paula-rego-snow-white-playing-with-her-fathers (17 / 9 / 2021)

5- Beauty and The Beast, 2012.
Retrieved from: https://www.flickr.com/photos/fray101/8011942300/in/photostream/ (17/9/2021)

6- Blackman, Charles, 2006. Charles Blackman, Alice in Wonderland.
Retrieved from: https://www.ngv.vic.gov.au/exhibition/charles-blackman/ (15 / 8 / 2021)

7- Bonner, Sarah, 2014. Visualizing Little Red Riding Hood.
Retrieved from: http://fairytalenewsblog.blogspot.com/2014/04/visualising-little-red-riding-hood.html (25 / 8 / 2021)

8- Cohen, Danielle, 2016. Yayoi Kusama Reimagines The Little Mermaid.
Retrieved from: https://www.thecut.com/2016/07/yayoi-kusama-nyc-japanese-artist-little-mermaid.html (20 / 8 / 2021)

9- Crippen, Martha, 2012. The Value of Children's Literature.
Retrieved from: https://www.luther.edu/oneota-reading-journal/archive/2012/the-value-of-childrens-literature/#:~:text=Children's%20literature%20is%20important%20because,and%20development%20of%20the%20student's (17 / 2 / 2021)

10- Evolution of Fairy Tales, 2021.
Retrieved from: https://www.encyclopedia.com/children/academic-and-educational-journals/evolution-fairy-tales (17 / 2 / 2021)

11- Gipson, Ferren, 2019. Art Matters podcast: the magic of fairy tales in art.
Retrieved from: https://artuk.org/discover/stories/art-matters-podcast-the-magic-of-fairy-tales-in-art (17/ 2/ 2021)

12- Gobert, Sebastien, 2012. Sleeping Beauty: Good Art through a Kiss.
Retrieved from: https://nouvellesest.wordpress.com/2012/08/31/715/ (20 / 8 / 2021)

13- Hade, Dan, 2007. Story power! The impact of children's literature.
Retrieved from: https://news.psu.edu/story/141114/2007/04/09/research/story-power-impact-childrens-literature (17 / 2 / 2021)

14- Heuzé, Tara, 2018. The 10 Darkest and Most Disturbing Fairy Tales.
Retrieved from: https://theculturetrip.com/europe/united-kingdom/articles/the-10-most-dark-and-disturbing-fairy-tales/ (15 / 8 / 2021)

15- Keslow, Lauren Rose, 2012. Children's Book Illustration.
Retrieved from: https://cargocollective.com/keslowcapstone/Introduction (9 / 9 / 2021)

16- Lesser, Casey, 2016. How to Teach Your Children to Care about Art.
Retrieved from: https://www.artsy.net/article/artsy-editorial-how-to-teach-your-children-to-care-about-art (18 / 2 / 2021)

17- Little Red Riding Hood, and the Power of Visual Storytelling, 1871.

Retrieved from: https://exhibits.library.illinois.edu/s/rbml/page/little-red-riding-hood (20/8/2021)

18- Min Jeong Seo, Cinderella story, 2005.
Retrieved from: https://www.pinterest.com/pin/597430706798974799/ (١٠ / ٢ / 2021)

19- Narnia to Wonderland, 2020. Oxford's Story Museum brings kids' books to life.
Retrieved from: https://www.theguardian.com/uk-news/2020/mar/14/oxford-story-museum-childrens-book-lyra-alethiometer (10 / 9 / 2021)

20- Nessworthy, Catherine, 2012. Surrealist Fairy Tale Illustrations by Nicoletta Ceccoli.
Retrieved from: https://mayhemandmuse.com/surrealist-fairy-tale-illustrations-by-nicoletta-ceccoli/ (15 / 8 / 2021)

21- Orbis Pictus Revised, 1996.
Retrieved from: https://imaginarymuseum.org/OPR/OPRWAAGE.HTM (9 / 9 / 2021)

22- Oscar Kokoschka, Anschluss, Alice in Wonderland, 2021.
Retrieved from: https://kuenste-im-exil.de/KIE/Content/EN/Objects/kokoschka-alice-im-wunderland-en.html?single=1 (9 / 9 / 2021)

23- Paul McCarthy At Frieze, 2012.
Retrieved from: https://autre.love/journal/tag/white+snow+head+paul+mccarthy (12 / 7 / 2021)

24- Pineda, Jorge, 2012. Jorge Pineda .. Shadows and Other Fairy Tales.
Retrieved from: https://www.huntereastharlemgallery.org/2012-jorge-pineda (22 / 9 / 2021)

25- Pinocchio Stigmata, Mixed Media By Jack Hill, (2021)
Retrieved from: https://www.absolutearts.com/mixed-media/jack-hill-pinocchio-stigmata-1504271332.html (12 / 8 / 2021)

26- Rogers, Hazel Anna, 2020. The Influence Of Illustration On Modern Art.
Retrieved from: https://www.thecollector.com/how-illustration-shaped-modern-art/ (16/ 2 / 2021)

27- Ryden, Mark, 2021.
Retrieved from: https://www.markryden.com/snow-white (30 / 8 / 2021)

28- Salerno, laura, 2014. Fairy Tales in Contemporary Art: The Whimsical and The Grimm.
Retrieved from: https://prezi.com/pbuzj1vkag9g/fairy-tales-in-contemporary-art-the-whimsical-and-the-grimm/ (18 / 2 / 2021)

29- Stewart, Jessica, 2017. Salvador Dalí's Rarely Seen.
Retrieved from: https://mymodernmet.com/salvador-dali-alice-in-wonderland/ (١٠ / ٢ / 2021)

30- Sugar Hill Children's Museum of Art & Storytelling, 2021.
Retrieved from: https://www.sugarhillmuseum.org/ (9 / 9 / 2021)

31- SUPER A, 2021.
Retrieved from: https://www.artsy.net/artwork/super-a-snow-white-trapped-series (20 / 9 / 2021)